

الْتَّسْبِيحُ وَالتَّحْمِيدُ

مَعَاهُما - آثَارُهُما وَفَوَائِدُهُما

الإمام الشیخ
عبد الله سراج الدين

رحمه الله تعالى ورضي عنه



**هذا البحث مقتبس من كتاب
(حول تفسير سورة الإخلاص والمعوذتين بعدها)
من الصفحة ٦٨ حتى الصفحة ٨٥**

**للشيخ الإمام
عبد الله سراج الدين الحسيني
بناء على توجيهات ولده
المهندس الشيخ
محمد محبي الدين سراج الدين
رحمهما الله تعالى ورضي عنهم**

ويمكنك تحميل هذه الأبحاث القيمة
وتحميل جميع كتب الشيخ الإمام
من موقعه الرسمي والوحيد
WWW.SRAJALDEN.COM
قسم مؤلفات الإمام
المؤلفات المكتوبة وقبسات من المؤلفات

مدير الموقع :
الشيخ عبد الله محمد محبي الدين سراج الدين

فتنزية الله تعالى عما لا يليق به يُسمى تسبيحاً ، وإثبات
الكمالات والحمد لله تعالى يُسمى حمداً.

وكثيراً ما يقرن الله تعالى بينهما ، قال تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا
يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ .

وقد يفرد سبحانه ذكر التسبيح في مواضع لأنّه ذكر في مقابله
الحمد مفرداً في مواضع أخرى .

على أنّ ذكر التحميد بالإفراد يدلّ ضمناً على التنزية ، فإذا
قلت : الله تعالى سميع بصير ، هذا إثبات وحمد ، وفي ضمنه تنبية
عن ضدهما ، وإذا سَبَّحْتَهُ ونَزَّهْتَهُ عن الناقص والعيوب ، فقد
أثبت له الكمالات والحمد ضمناً .

قال تعالى : ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ الآية ، وهكذا
جاءت المسبحات .

وقال سبحانه : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظَّلَمَاتِ
وَالنُّورَ ﴾ الآية .

وقال تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَمْنَعْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ
فِي الْآخِرَةِ ﴾ الآية .

وقال تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ الآية .

وقال تعالى : ﴿ فَسَبَّحَنَ اللَّهَ حِينَ تَمَسَّكَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿ ١٧ ﴾ وَلَهُ
الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشَيَا وَحِينَ تُظَهِّرُونَ ﴾ .

وقد أخبر الله تعالى أنّ جميع الأشياء تُسبّح بحمده :

فأخبر عن حملة العرش قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ
يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ الآية .

وقال تعالى : ﴿ نَكَادُ السَّمَاوَاتِ يَتَفَطَّرُنَّ مِنْ فَوْقَهُنَّ وَالْمَلَائِكَةُ
يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ الآية .

وقال تعالى : ﴿ تَسْبِحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مَنْ شَاءَ إِلَّا
يُسَبِّحُ بِهِمْ وَلَكِنَّ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيْحَهُمْ إِنَّمَا كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ .

وقد أمر سبحانه بتسبيحه وحمده :

قال تعالى : ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ
الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴾ .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَصِيقُ صَدْرَكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿ ١٧ ﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ
رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿ ١٨ ﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْنِيْكَ الْيَقِيْنُ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْ إِنَّمَا كَانَ تَوَابًا ﴾ .

ففي التسبيح تزية الله تعالى بما لا يليق به ، وفي الحمد إثبات
الكمالات اللاقعة به ، ولذلك جاءت الآيات الكريمة ، والأحاديث
النبوية الشريفة بالحث على الإكثار من التسبيح والتحميد ،
والترغيب في الإكثار منها ، لما يترتب عليهما من الفضائل ،
والأجر الكبير عند الله تعالى :

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِعِيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا حَرُوا سُجَّداً
وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿ ٢٩ ﴾ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم : « كلمات خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في
الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده سبحان الله
العظيم » ^(١) .

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم : « ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله تعالى » ؟

(١) رواه الشیخان وأصحاب السنن .

قلت: بلى يا رسول الله أخبرني بأحب الكلام إلى الله تعالى.

فقال صلى الله عليه وآلـه وسلم: «إن أحبـ الكلام إلى الله تعالى سـبـحانـهـ اللهـ وـبـحـمـدـهـ»^(١).

وفي رواية لمسلم: أن رسول الله صلـى اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ سـئـلـ أيـ الـكـلـامـ أـفـضـلـ؟

قال: «ما اصطفـيـ اللهـ لـمـلـائـكـتـهـ أوـ لـعـبـادـهـ: سـبـحانـهـ وـبـحـمـدـهـ».

والإكثار من التسبـحـ والتـحـمـيدـ يـحـطـ الذـنـوبـ:

فـعـنـ أـبـيـ هـرـيـرـةـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ ،ـ أـنـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ قال: «من قال سـبـحانـ اللهـ وـبـحـمـدـهـ فيـ يـوـمـ مـائـةـ مـرـةـ؛ـ غـفـرـتـ لـهـ ذـنـوبـهـ وـإـنـ كـانـتـ مـثـلـ زـيـدـ الـبـحـرـ»^(٢).

والإكثار منهما يجلـبـ الخـيرـ الكـثـيرـ:

فـعـنـ أـبـيـ هـرـيـرـةـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ قال: قـالـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ: «لـأـنـ أـقـولـ سـبـحانـ اللهـ ،ـ وـالـحـمـدـ اللـهـ ،ـ وـلـاـ إـلـهـ إـلـاـ اللـهـ ،ـ وـالـلـهـ أـكـبـرـ؛ـ أـحـبـ إـلـيـهـ مـاـ طـلـعـتـ عـلـيـهـ الشـمـسـ»^(٣).

وعـنـ أـنـسـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ ،ـ أـنـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ أـخـذـ غـصـنـاـ فـنـفـضـهـ -ـ أـيـ:ـ هـزـهـ وـحـرـكـهـ -ـ فـلـمـ يـنـفـضـ -ـ أـيـ:ـ مـنـ وـرـقـهـ الـيـابـسـ -ـ ثـمـ نـفـضـهـ فـلـمـ يـنـفـضـ ،ـ ثـمـ نـفـضـهـ فـاـنـفـضـ.

(١) رواه مسلم وغيره.

(٢) قال الحافظ المنذري: رواه مسلم والترمذى والنسائى، قال: وفي رواية للنسائى «من قال: سـبـحانـ اللهـ وـبـحـمـدـهـ حـطـ اللـهـ عـنـهـ ذـنـوبـهـ؛ـ وـإـنـ كـانـتـ أـكـثـرـ مـنـ زـيـدـ الـبـحـرـ».

(٣) رواه مسلم والترمذى.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآلله وسلم: «إِنَّ سُبْحَانَ اللَّهِ ،
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ؛ تَنْفَضُ الْخَطَايَا كَمَا تَنْفَضُ
الشَّجَرَةُ وَرُقْهَا»^(١).

والتسبيح والتحميد هما من الباقيات الصالحات:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآلله وسلم قال: «استكثروا من الباقيات الصالحات». قيل: وما هن يا رسول الله؟

قال: «التكبير، والتهليل، والتسبيح، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآلله وسلم قال: «خذلوا جُنُتكم» - أي: ما يقيكم -.

قالوا: يا رسول الله: عَدُوُّ حَضْرٍ؟

قال: «لا، ولكن جُنُتكم من النار».

قولوا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر - فإنَّه يأتين يوم القيمة مجنَّبات، ومعقبات، وهنَ الباقيات الصالحات»^(٣).

(١) قال الحافظ المنذري: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه أحمد، وأبو يعلى، والنسائي، وابن حبان في (صحيحه).

(٣) قال في (الترغيب): رواه النسائي واللفظ له، والحاكم والبيهقي، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم.

قال: ومجنبات بفتح النون. أي: مقدمات أمامكم، وفي رواية الحاكم: «منجيات» بتقديم النون على الجيم. وكذا رواه الطبراني في (الأوسط) وزاد: «ولا حول ولا قوة إلا بالله».

وعن جويرية رضي الله عنها ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ مِنْ عَنْدِهَا ، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى ؛ وَهِيَ جَالِسَةٌ تُسَبِّحُ فَقَالَ : «مَا زَلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتَكَ عَلَيْهَا» ؟ قَالَتْ : نَعَمْ .

قال النبي صلى الله عليه وآلها وسلم: «لقد قلتُ بعده أزيد
كلمات ثلاثة مرات؛ لو وزنت بما قلته منذ اليوم لوزنهن.

سبحان الله وبحمده: عدد خلقه، ورضاء نفسه، وزنة عرشه،
ومداد كلماته»^(١).

والتسبيح والتحميد غراس في الجنة:

عن جابر رضي الله عنه ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «مَنْ قَالَ : سَبَّحَ اللَّهَ الْعَظِيمَ وَبِحَمْدِهِ : غُرِستُ لَهُ نَخْلَةً فِي الْجَنَّةِ»^(٢) .

وروى البزار بإسناد جيد ، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآلها وسلم: «مَنْ قَالَ سَبَّحَ اللَّهَ وَبِحَمْدِهِ : غُرِستُ لَهُ نَخْلَةً فِي الْجَنَّةِ» .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِهِ وَهُوَ يَغْرِسُ غَرْسًا ، فَقَالَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «يَا أَبَا هَرِيرَةَ مَاذِي تَغْرِسُ»؟ .

قال: ورواه في (الصغير) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، فجمع بين اللفظين ، فقال: «منجيات ومجبات» وإسناده جيد قوي .
و«معقبات» بكسر القاف المشددة - أي: تعقبكم وتأتي من ورائكم - اهـ
أي: لتعظظكم .

(١) رواه مسلم وأصحاب السنن .

(٢) رواه الترمذى وحسنه ، والنسائي بلفظ: «غُرِستُ لَهُ شَجَرَةً فِي الْجَنَّةِ» .

قلت : غراساً .

قال : «ألا أدلّك على غرس خير من هذا؟ سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر؛ تُغرس لك بكل واحدة شجرة في الجنة» .

قال في (الترغيب) : رواه ابن ماجه بإسناد حسن .

في الجنة قيungan كلها صالحـة للغرس ، والغراس هو ما يلي :

روى الترمذـي ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم : «لقيت إبراهيم عليه السلام ليلة أسرى بي ، فقال : يا محمد أقرـئ أمـتك منـي السلام ، وأخـبرـهم أنـ الجنة طيبة التربـة ، عذبة الماء ، وأنـها قيungan^(١) ، وأنـ غراسـها : سبحان الله ، والحمد للـله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر» .

ورواه الطبراني وزاد في روايته : «ولا حول ولا قـوـة إلا بالـله» .

التسـبـيح والتـحـمـيد والتـهـليل يجـتمعـون حول العـرـش يـشـفـعـون بـصـاحـبـها :

عن النعمـان بن بشـير رضـي الله عنـهـما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم : «إـنـ ما تـذـكـرون مـنـ جـلـالـ الله التـسـبـيح والتـهـليل والتـحـمـيد ، يـنـعـطـفـنـ حول العـرـش ، لـهـنـ دـوـيـ كـدوـيـ التـحـلـ ، تـذـكـرـ بـصـاحـبـها ، أـمـا يـحـبـ أـحـدـكـمـ أـنـ يـكـونـ لهـ أـوـ لاـ يـزـالـ لـهـ مـنـ يـذـكـرـ بـهـ»^(٢) .

(١) جـمـعـ قـاعـ وهوـ الـأـرـضـ الـمـنـسـبـةـ الـوـاسـعـةـ .

(٢) قالـ الحـافـظـ المنـذـريـ : رـواـهـ اـبـنـ أـبـيـ الدـنـيـاـ ، وـابـنـ مـاجـهـ وـالـلـفـظـ لـهـ ، وـالـحـاـكـمـ وـقـالـ : صـحـيـحـ الـإـسـنـادـ .

وروى الحاكم وقال: صحيح الإسناد ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من قال: سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، قال الله تعالى: أسلم عبدي واستسلم». .

ففي هذه الصيغة شهادة من الله تعالى لقائلها بالإسلام والاستسلام .

فانظر يا أخي في هذا الفضل الإلهي ، المرتب على التسبيح والتحميد وما تقدم ، فأكثر من ذلك ما استطعت .

ومن جملة ما جاء في فضل التسبيح والتحميد أنها غراس في الجنة ، وهذا فضل كبير ، وثواب عظيم ، وخير جزيل ، فإياك أن تستهين به ، فإن الله تعالى إذا غرس لك في الجنة غرسة واحدة فقد ضمن لك أن يحييك على الإيمان ، وأن يميتك على الإيمان ، وأن يدخلك الجنة حتى ترى غرستك ، وتنعم بها ، فما ظنك إذا غرس لك في الجنة غرسات كثيرة ، أنتظن أن الله تعالى يعطيها لغيرك؟ هذا ما يكون ، فإنها غرسٌ لك ، بسبب تسبيحك وحمدك ، أم تظن أن يميت تلك الغرسة؟ هذا ما يكون ، لأن غرسات الجنة وأشجارها لا تموت ، لأن الجنة دار البقاء والخلود ، بل لا تزال تنمو غرستك وتعظم إلى ما شاء الله تعالى .

فإذا غرس لك في الجنة غرسة فذلك بشرى لك عظيمة ، بثباتك على الإيمان ، والموت عليه ، ثم دخول الجنة .

ولذلك جاءت البشري العظمى من الخليل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والتسليم ، بسبب الحبيب الأكرم سيدنا محمد صلى

الله عليه وآلـه وسلم ليلة الإسراء ، جاءت البشرى بذلك إلى هذه الأمة ، ليفرحوا بفضل الله تعالى ورحمته ، ويُكثروا من الغرسات في قيـان الجنة الواسعة ، وأن يستكثروا لهم من بيوتٍ في الجنة.

كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد ، عن معاذ بن أنس رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآلـه وسلم قال : «من قرأ : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ عشر مرات بـنـى الله تعالى له بيتاً في الجنة»^(١).

فالبيت الذي يبنيه الله تعالى للمؤمن في الجنة لا يُخرب ، ويلزم من ذلك أنه يموت على الإيمان ، ويدخل الجنة ، ويسكن ذلك البيت لا محالة ، لأنـه بـنـى له.

والبيت الذي بـنـى في الجنة على حسب مقام صاحبه :

جاء في الحديث المتفق عليه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنه قال : أتـى جـبرـيلـ النـبـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ فقال : «يا رسول الله هذه خديجة قد أـتـكـ - وفي رواية البخاري : «قد أـتـتـ إـيـانـهـ فـيـ طـعـامـ أـوـ إـدـامـ أـوـ شـرابـ»^(٢) - فإذا هي أـتـكـ فـاقـرـأـ عـلـيـهـ السـلـامـ مـنـ رـبـهـ وـمـنـيـ ، وـبـشـرـهـ بـيـتـ فـيـ الجـنـةـ مـنـ قـصـبـ؛ لـاـ صـخـبـ فـيـهـ وـلـاـ نـصـبـ»^(٣).

(١) انظر (الفتح الكبير) وغيره.

(٢) قال في (شرح المawahـبـ) : ولـإـسـمـاعـيلـيـ : «فـيـهـ إـدـامـ أـوـ طـعـامـ أـوـ شـرابـ» وفي رواية الطبراني : كان حـيـساـ.

(٣) القـصـبـ : المراد بهـ : الـلـؤـلـوـ المـجـوـفـ كـمـاـ فـيـ روـاـيـةـ لـلـطـبـرـانـيـ : «بـيـتـ مـنـ لـؤـلـؤـةـ مـجـوـفـةـ» ، والـصـخـبـ : الصـيـاحـ وـالـمـنـازـعـةـ بـرـفـعـ الصـوتـ ، وـالـنـصـبـ : التـعبـ كـذـاـ فـيـ (ـشـرحـ المـواـهـبــ).

وفي رواية للنسائي ، عن أنس رضي الله عنه قال : قال جبريل للنبي صلى الله عليه وآلـه وسلم : «إن الله يقرئ خديجة السلام» فأخبرها .

فقالت : (إن الله هو السلام ، وعلى جبريل السلام ، وعليك السلام ورحمة وبركاته) .

زاد ابن السندي في روايته : (وعلى من سمع السلام إلا الشيطان) .

قال الحافظ في (الفتح) : قال العلماء : في هذه القصة دليل على وفور عقلها ، وفقها ، لأنها لم تقل : وعليه السلام كما وقع لبعض الصحابة حيث كانوا يقولون في التشهد : السلام على الله ، فنهاهم النبي صلى الله عليه وآلـه وسلم وقال : «إن الله هو السلام ، فقولوا : التحيات لله» .

عرفت السيدة خديجة لصحة فهمها أن الله تعالى لا يردد عليه السلام كما يردد على المخلوقين ، لأن السلام من أسمائه تعالى ، وهو أيضاً دعاء بالسلامة ، وكلامها لا يصلح أن يردد به السلام على الله ، فكأنها قالت : كيف أقول : عليه السلام ؛ والسلام اسمه سبحانه ، ومنه يطلب ، ومنه يحصل .

فيستفاد منه أن لا يليق بالله تعالى إلا الثناء عليه ، فجعلت مكان رد السلام عليه سبحانه الثناء عليه ، - أي : فلم تقل : وعليه السلام ، بل جاءت بالثناء وهو أن الله تعالى هو السلام - ثم غايرت بين ما يليق بالله تعالى ، وما يليق بغيره فقالت : (وعلى جبريل السلام ، وعليك - أي : يا رسول الله - السلام ورحمة الله وبركاته) كما في رواية النسائي .

ويستفاد منه رد السلام على من أرسَلَه ومنْ بَلَّغَه . اـهـ .

ومن فوائد التسبيح والتحميد والتكبير أنَّهما يُعطِيَان صاحبها قُوَّةً
حتى في البدن :

جاء في الحديث الذي رواه الشیخان وغیرہمَا ، عن سیدنا علی
رضی اللہ عنہ ، أَنَّ السیدة فاطمة فاطمة علیھا السلام ، شکت ما تلقی فی
یدھا من الرھن ، فأَتت النبی صلی اللہ علیھ وآلہ وسلم تسأله
خادماً ، فلم تجده ، فذکرَت ذلك لعائشة رضی اللہ عنھا .

فلمَ جاء النبی صلی اللہ علیھ وآلہ وسلم أَخْبَرْتَه - أَی : السیدة
عائشة رضی اللہ عنھا .

قال علی رضی اللہ عنہ : فجاءنا النبی صلی اللہ علیھ وآلہ وسلم
وقد أخذنا مساجعنا ، فذهبَتْ أَقْوَمْ فقال : «مَكَانُكُمْ» فجلس صلی^{لہ علیہ وعلی آلہ وسلم} الله علیھ وعلی آلہ وسلم بیننا . حتى وجدتْ برد قد میه صلی اللہ
علیھ وعلی آلہ وسلم علی صدری .

فقال صلی اللہ علیھ وآلہ وسلم : «أَلَا أَدُلُّكُمَا عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ
لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ ؟ إِذَا أَوْيَتُمَا إِلَى فِرَاشَكُمَا - وَفِي روایة : «إِذَا أَخْذَتُمَا
مِساجِعَكُمَا» - فَكَبَرَا أَرْبِعَاً وَثَلَاثِينَ ، وَسَبَّحَا ثَلَاثَةً وَثَلَاثِينَ ،
وَاحْمَدَا ثَلَاثَةً وَثَلَاثِينَ ؛ فَهَذَا خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ» .

وفي روایة : تأخیر التکبیر عن التسبیح والتحمید ، فإنَ للحدیث
روایات أخرى أطولاً من هذا .

فالتسبيح والتحميد والتکبیر قبل النوم يعطي قوة لصاحبها ،
وعوناً من الله تعالى .

ومن جملة ما ورد في فضل التسبيح والتحميد ما يلي :

عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم : «الظهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض ، والصلوة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، والقرآن حجّة لك أو عليك ، كل الناس يغدو فبائع نفسه ؛ فمعتقها أو مُوبقها»^(١).

فسبحان الله والحمد لله نورهما يملأ ما بين السماء والأرض ؛ فأكثر منهما ما استطعت ، وبهما يقوى الإيمان ويثبت .

وعن أبي ذر رضي الله عنه ، أنَّ ناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم قالوا : يا رسول الله ، ذهب أهل الدثور - أي : الأموال - بالأجور ، يصلون كما نصلي ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون بفضول أموالهم^(٢) .

فقال صلى الله عليه وآلـه وسلم : «أو ليس قد جعل الله ما تصدقون به؟ .

إنَّ بكل تسبيبة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وكل تحميده صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهي عن المنكر صدقة ، وفي بُضُع أحدهم صدقة».

قالوا : يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟

قال صلى الله عليه وآلـه وسلم : «رأيتم لو وضعها في الحرام

(١) رواه مسلم والترمذى وغيرهما .

(٢) أي : ولا مال عندنا نتصدق به .

أَكَانْ عَلَيْهِ وِزْرٌ؟، فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ»^(١).

وَالْمَعْنَى أَنَّ الْفَقَرَاءَ ظَنُوا أَنَّ لَا صِدْقَةَ إِلَّا بِالْمَالِ، وَهُمْ عَاجِزُونَ عَنْ ذَلِكَ، فَأَخْبَرُهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الصِّدَقَاتِ أَنْوَاعٌ مُتَعَدِّدةٌ، وَهُمْ لَا يَعْجِزُونَ عَنْهَا كُلَّهَا.

قَالَ الْحَافِظُ الْمَنْذُريُّ: وَفِي رَوَايَةِ مُسْلِمٍ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَبَّحَ اللَّهَ فِي دِبْرٍ كُلَّ صَلَاةٍ ثَلَاثَةً وَثَلَاثَيْنَ، وَحَمَدَ اللَّهَ ثَلَاثَةً وَثَلَاثَيْنَ، وَكَبَرَ اللَّهَ ثَلَاثَةً وَثَلَاثَيْنَ؛ فَتَلْكَ تِسْعَةَ وَتِسْعَونَ، ثُمَّ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ - غَفَرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَ مِثْلُ زَيْدِ الْبَحْرِ»^(٢).

وَلَا مَانِعَ أَنْ تَقُولَ: «لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، يَحْيَىٰ وَيَمْتَيِّتُ» فَقَدْ وَرَدَ ذَلِكَ فِي غَيْرِ هَذَا مِنَ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ.

فَوَاظَبَ أَيْهَا الْمُسْلِمُ وَالْمُسْلِمَةَ عَلَى ذَلِكَ وَرَاءَ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ - أَيْ: مَفْرُوضَةٌ - فَإِنَّ أَجْرَهَا كَبِيرٌ وَثَوَابُهَا عَظِيمٌ.

وَمِنْ فَضَائِلِ التَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ:

أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ لَا يَغْفِلُونَ عَنِ التَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ، كَمَا جَاءَ عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرِبُونَ، وَلَا يَتَفَلُّونَ، وَلَا يَبْولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ».

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ، كَمَا فِي (الأَرْبَعَينِ) لِلإِمامِ النَّوْوَيِّ.

(٢) قَالَ الْحَافِظُ الْمَنْذُريُّ: وَرَوَاهُ مَالِكٌ، وَابْنُ حَزِيرَةَ فِي (صَحِيحَهُ) بِلِفَظِ هَذِهِ، إِلَّا أَنَّ مَالِكًا قَالَ فِي رَوَايَتِهِ: «غَفَرَتْ ذُنُوبُهُ وَإِنْ كَانَ مِثْلُ زَيْدِ الْبَحْرِ».

قال: فما بال الطعام^(١)؟ .

قال: «جُشاء كرشع المسك ، يلهمون التسبيح والتحميد كما تلهمون النفس»^(٢) .

فأهل الجنة في الجنة لا ينقطع تسبيحهم ولا حمدتهم الله تعالى ، ولكن ذلك من غير تعب ولا مسقة ، بل هو من جملة نعيمهم الذي لا يستغنون عنه ، فهو كَلَفٌ بغير تكلف ، حباً في الله تعالى ، وهِياماً به سبحانه وتعالى .

جعلنا الله تعالى منهم بفضله وكرمه - أمين .

ومما ورد في فضائل التسبيح والتحميد:

ما جاء في الحديث ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله ملائكة يطوفون في الطرق يتلمسون أهل الذكر ، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تعالى تنادوا هلموا إلى حاجتكم ، فيحفّونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا .

فيسألكم ربّهم وهو أعلم بهم: ما يقول عبادي؟ .

فيقولون: يُسبحونك ، ويُكثرونك ، ويحمدونك ، ويُمجدونك .

قال: فيقول: هل رأوني؟ .

فيقولون: لا يا ربّ ما رأوك .

فيقول: كيف لو رأوني؟ .

(١) أي: أين يذهب ما يأكلون من الطعام.

(٢) انظر (تيسير الوصول) وغيره.

فيقولون: لو رأوك كانوا أشدّ لك عبادة ، وأشدّ لك تمجیداً ،
وأكثر لك تسبيحاً.

قال: فيقول سبحانه: ما يسألون؟

فيقولون: يسألونك الجنة.

فيقول: هل رأوها؟.

فيقولون: لا يا رب ما رأوها.

فيقول: كيف لو رأوها؟.

فيقولون: لو رأوها كانوا أشدّ عليها حرصاً ، وأشد لها طلباً ،
وأعظم فيها رغبة.

قال: فمم يتعوذون؟.

فيقولون: يتعوذون من النار.

فيقول: هل رأوها؟.

فيقولون: لا يا رب ما رأوها.

فيقول: كيف لو رأوها؟.

فيقولون: لو رأوها كانوا أشدّ منها فراراً ، وأشد لها مخافة.

قال: فيقول: أشهدكم أني قد غفرت لهم.

قال: فيقول ملك منهم: فيهم فلان عبد خطاء^(١) ليس منهم ،
إنما مَرَّ لحاجة فجلس.

(١) أي: في ذلك الجمع عبد كثير الخطأ ليس منهم ، إنما مَرَّ لحاجة له.

فيقول جَلَّ وَعَلَا: ولَهُ قَدْ غَفَرْتُ، هُمُ الْقَوْمُ لَا يُشْقَى بِهِمْ
جَلِيلُهُمْ»^(١).

وإنما سأّلوا الله تعالى الجنّة مع أَنَّ الله تعالى هو يُعبد لذاته ولو
لم يخلق جنّة ولا ناراً، لأنّه هو الإله الحق، المعبود لذاته، وحُقّ
له أن يعبد لذاته سبحانه، ولكن سأّلوا الله تعالى الجنّة لأنّ فيها
أَنْواعاً من النعيم والفضل والتكريم الإلهي:

ففيها تجلياته الرضوانية المتواتلة، وفيها تسليماته، وتحياته
المتواصلة على أهل الجنّة، وفيها تجلياته بالرؤيا العيانية لأهل
الجنّة، وفيها مكالمة ومحاضرته لأهل الجنّة، وفيها المرافقة
لسيّد العالمين، فخر الكائنات، سيدنا محمد صلّى الله عليه
وآله وسلم، والمرافقة لسائر الأنبياء والمرسلين - على نبينا
وعليهم أفضّل الصلاة وأتم التسليم - والصديقين، والشهداء،
والصالحين؛ وحسن أولئك رفيقاً. كما سيتضّح ذلك مفصلاً إن
شاء الله تعالى.

وفيها من النعيم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر
على قلب بشر.

ففيها ألوانٌ من الفضل والجود والكرم الإلهي.

ولذلك دعا الله تعالى إليها عباده، ليكرّمهم بذلك، فهي دار
الكرامة الإلهية، وأمرهم بالمسارعة إليها، وأمرهم بالمسابقة

(١) قال في (تيسير الوصول): أخرجه الشیخان والترمذی ، قلت: وقد ذكرت روایات هذا الحديث في بعض کتبی فارجع إلیه.

إليها ، وأمرهم بالمنافسة عليها ، ووعدهم بها ، ووصفها لهم ، وشَوَّقُهم إليها .

فشأن المؤمن أنْ يعبد الله تعالى لذاته ، لأنَّ العبادة هي حَقٌّ ذاتي لله تعالى على عباده ، ومع ذلك يَرْغِبُ فِيمَا رَغِبَهُ الله تعالى فيه ، ويَرْهَبُ مِمَّا خوفه الله منه ، يَفْعُلُ ذلك كُلَّهُ حُبًا في الله تعالى ، وتقربًا إليه ، وإرضاءً له سبحانه ، وابتغاء مرضاته .

ولذلك أخبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في الحديث المتقدم عن أهل ذكر الله تعالى : أَنَّهُمْ يَسْأَلُونَ اللهَ الْجَنَّةَ ، وَيَتَعَوِّذُونَ بِهِ مِنَ النَّارِ .

جاء في (الصحيحين) وغيرهما ، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : كنت خلف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على الدابة . فقال لي : «يا معاذ» .

قلت : لبيك يا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

ثم سكت ساعة ثم قال : «يا معاذ» .

قلت : لبيك يا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

ثم سكت ساعة ثم قال : «يا معاذ بن جبل» .

قلت : لبيك وسعديك يا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

قال : «أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عَبَادِهِ؟»؟ .

قلت : الله ورسوله أعلم .

قال : «حَقُّ اللَّهِ عَلَى عَبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا» .

ثم قال : «يا معاذ» .

قلت : لبيك يا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

قال: «أَتَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا عَبَدُوهُ وَلَمْ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً؟» .

قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: «حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا عَبَدُوهُ وَلَمْ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً أَنْ لَا يَعْذِبَهُمْ» .

فَلَلَّهُ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ حَقٌّ ذَاتِي أَنْ يَعْبُدُوهُ ، لَا هُنَّ رَبُّهُمْ ، وَكُلُّهُمْ عِبَادٌ ، وَقَدْ حَقٌّ سُبْحَانَهُ عَلَى نَفْسِهِ فَضْلًا مِنْهُ وَكَرْمًا أَنْ لَا يَعْذِبَهُمْ إِذَا عَبَدُوهُ ، وَأَنْ يُدْخِلَهُمْ الْجَنَّةَ .

وَقَدْ فَصَلَّتِ الْكَلَامُ عَلَى ذَلِكَ فِي كِتَابِ (التَّقْرِبِ) فَارْجِعْ إِلَيْهِ يَنْفَعُكَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ .

قال تعالى :

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامِ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّتٍ وَغَيْرِهِنَّ يُلْبِسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَبِّلِينَ ﴿٥٢﴾ كَذَلِكَ وَزَوْجُهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٣﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَتَكْهِهٍ أَمِينِينَ ﴿٥٤﴾ لَا يَدْعُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَ الْأَوَّلَ وَوَقَنُهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ .

اللهم إنا نسألك من فضلك العظيم.

وَلَمَّا كَانَتِ الْجَنَّةُ فِيهَا أَلْوَانٌ مِنَ النَّعِيمِ ، وَفِيهَا تَحَيَّاتُ رَبِّ الْعَالَمِينَ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ عَلَى وَجْهِ التَّوَالِي ، وَفِيهَا تَجْلِيَاتُ الرَّضْوَانِيَّةِ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَفِيهَا تَجْلِيَاتُهُ بِالرَّقْوِيَّةِ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ؛ عَلَى حَسْبِ مَرَاتِبِهِمْ وَمَقَامَاتِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ ، وَفِيهَا مَكَالِمَتُهُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَفِيهَا سَمَاعُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِنْ رَبِّ الْعَزَّةِ جَلَّ وَعَلَا .

وَفِيهَا الْمَرَافِقَةُ لِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وَسَائِرِ

النبيين والصديقين ، والشهداء والصالحين .

وفيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب
بشر ، وفيها وفيها .

لذلك دعا الله تعالى عباده إليها ، وأمرهم بالمسارعة إليها ،
وأمرهم بالمسابقة إليها أيضاً ، وأمرهم بالمنافسة عليها . كما
سيتضح إن شاء الله تعالى .

اللهم إنا نسألك : إيماناً لا يرتد ، ونعيماً لا ينفد ، وفراة عينٍ
لا تنقطع ، ومرافقه نبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم في
أعلى الجنة جنة الخلد ، وصلى الله العظيم ، على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم ، في كل وقت وحين ، عدد ما وسعه علم
الله تعالى رب العالمين - آمين .